على درب العقيدة ٣

المبعوث في ذمة الكوفة

٥٥
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

المَبْعُوثُ

في ذِمَّة الكُوفَة

المَبْعُوثُ

في ذِمَّة الكُوفَة

تصفحت أخبار السفارة لم أجد
سفيراً يداني مسلم بن عقيل
أرى ذكره حياً وإن غاب شخصه
لدى كل دور في الحياة وجيل
فتى ينتقيه السبط سبط محمدٍ
متى تسمح الدنيا له بمثيل

عبد الواحد الشيخ أحمد المظفر

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد المصطفى وعلى آله الأطهار واللعنة الدائمة على أعدائهم من الأوّلين والآخرين إلى قيام يوم الدين وبعد..

إن من أعظم هبات الله تعالى إلى البشر هو إرسال الأنبياء والرسل ليبينوا لهم شرائع دينهم ويهدونهم إلى صراط مستقيم، ومن الواجب أن يكون النبي هو أفضل قومه وأطوعهم لأمر ربه، لأنه الممثل للرسالة التي يبعث بها من قبل المُرسِل جل وعلا، فهناك علاقة تلازمية بين المُرسِل والرسول والرسالة، إذن لا بد أن يكون الرسول هو الممثل الحقيقي لمن أرسله، وتكون رسالته تنم عن ما يريده ذلك المُرسِل وأن تؤثر بالمُرسَل إليهم، كي تتحقق الإصلاحات ويهديهم إلى جادة الصواب والسلوك الصحيح الذي يرقي بالمجتمعات إلى الدرجات السامية والرفيعة.

فلابد للرسول أن يتصف بالأخلاق الحميدة والصفات الحسنة حتى يكون خير ممثل للمرسل وحتى تلقى الرسالة قبولها في المجتمعات.

ولما كان الإمام الحسين عليه السلام هو ثالث الأوصياء الذين نص عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وهو حجة الله في الأرض على جميع خلقه، وأراد أن يصلح الأمة بعد أن عمل حكام الجور في فسادها وتمزيقها، قرر استجابة دعوات الأمة للنهوض بها في مواجهة الانحراف الأموي، وكانت الكوفة التي فقدت هيبتها بعد أن هجرها المعصوم عليه السلام وعملت بها الفئات

الموالية للأمويين، لذا فقد احتاج أهلها إلى إعادة هيبة الكوفة وإيقاف الانحراف الأموي، فطلبوا وبإلحاح من الإمام الحسين عليه السلام أن يقود ثورة التغيير فبايعوه بالكتب التي أرسلت إليه على أنه الخليفة الشرعي المنصوص عليه من الله تعالى كما أخبرهم الرسول صلى الله عليه وآله، فكان عليه السلام أن يختار من يسبقه مبعوثاً إلى أهل الكوفة ليكون ممثلاً عنه، فاختار ابن عمه مسلم بن عقيل عليه السلام.

ولما كان مسلم بن عقيل هو مختار الإمام الحسين عليه السلام فلا بد أن يمثل جوانب مما يتصف به الإمام الحسين عليه السلام، فإنه صاحب الورع والتقوى والأمانة والعفة، كما انه على علم تام في أحكام الشريعة وما يحتاجه المجتمع الكوفي في أمور دينه ودنياه، كما أن مسلماً ليس هو كباقي الرسل الذين يُبعثون لأداء رسالة معينة ثم ينتهي الأمر، بل كان مبعوثاً للحسين عليه السلام الذي هو رأس الشريعة المحمدية وحافظ الرسالة الإلهية، فيجب أن يكون المختار لأداء رسالة الحسين عليه السلام بالمستوى الذي يكون فيه الحسين نفسه في جميع تصرفاته أو كلامه وهذا ما وجدناه في شخص مسلم، إذ قال فيه الإمام الحسين عليه السلام في جوابه للرد على كتب الكوفة قائلاً:((وإني باعث إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي...)).

كان مسلم خير سفير ومبعوث على مدى التأريخ وخير ممثل لصاحب رسالته حتى مضى شهيداً من شهداء الحق والفضيلة.

وفي بحثنا هذا المتواضع والبسيط سنتعرض إلى سيرة هذا المبعوث القدير والبطل النحرير والظروف التي أحيطت بسفارته. راجياً العلي الأعلى أن يمدنا بيد العون لخدمة أوليائه انه سميع مجيب..

الكوفة

كان الإمام الحسين عليه السلام أعرف الناس بالكوفيين فقد عاش بين ظهرانيهم سنين عديدة وعاصر تجارب أبيه وأخيه (عليهما السلام) معهم فكان على معرفة تامة بالغدر الذي تعرض له أبوه وأخوه من قبل في الكوفة[1]، ولكنه شخص إليهم لأنه كان مصمماً على الثورة، وكان يبحث عن قاعدة لثورته فوجدها في دعوة الكوفيين، فقد أعطته هذه الدعوة فرصة إعلان الثورة من جهة وفوائد جمة من جهة أخرى، فيما يلي بعض تلك الفوائد :

١. توفر القاعدة الشعبية الثورية في الكوفة، علماً بان الحسين عليه السلام اعلن ثورته في المدينة بعد رفضه بيعة يزيد، وخروجه من المدينة إلى مكة.

٢. تحقيق البعد العاطفي للثورة الحسينية، فلو كانت ثورته في المدينة أو مكة ويقتل فيها لما كان لثورته إلا بعداً واحداً ألا وهو البعد الفكري الذي من طبيعته أن يبقى في جوف المفكرين، وأما البعد العاطفي فلا يتحقق لوجود الإشاعات المضللة والإعلام الكاذب[2] الذي يصرف معنى الثورة ويفرغها من محتواها الرئيس الى صورة خاوية مشوشة الرؤية لا يكون لها تأثيراً أو مفعولاً في الوسط والتاريخ.. أما قتل الأطفال الأبرياء أو موتهم عطشاً وسبي عقائل بيت الوحي والرسالة وربائب الإمامة فلم يكن له

(١) - من الطبيعي أن يحدث قتل الإمام الحسين عليه السلام بأيدي الكوفيين بعد دعوتهم إياه، روح التأنيب فيهم ويشعرهم بمسؤولية دمه الشريف، فيكون رد الفعل الطبيعي فيهم أن يحاولوا فيه غسل العار الذي لحقهم ويقتلوا قاتليه وتفجير الثورات على من دفعهم إلى قتله وكما حدث في ثورة التوابين وثورة المختار بل حتى ثورة زيد بن علي عليه السلام وابنه وكذلك توالت الثورات في الكوفة وتحت شعار الثأر لأهل البيت عليهم السلام والثأر للحسين عليه السلام وتارةً أخرى تحت شعار الرضا لآل محمد عليهم السلام فأصبحت الكوفة فيما بعد بركاناً يكمن في جوفه الثأر الذي لا يمكن غلق فوهته من جانب حتى يندلع من فوهة أخرى، وكانت النار التي لا تخمد في قلوب الكوفيين هي نار التأنيب على قتل الإمام الحسين عليه السلام.

(٢) - كما حدث في واقعة الحرة وتلك الصورة البشعة التي خلفتها إباحة الأمويين لمدينة رسول الله صلى الله عليه وآله.

ذلــك الصدى المؤثر والعاطفي الذي هز ويهز الأمة من داخلها إلى يومنا هذا، كما أن الثورة الحســينية كشــفت للأمة أسرار صلح الإمام الحسن عليه السلام ولو بعد حين، فالإمام الحســن عليه السلام عندما خرج بهم لقتال عدو الله وعدوهم غدروا به، وعندما صالح انقضوا عليه يلومونه بألســنة سليطة [1] ولو رفض الصلح لقتلوه بأيديهم، وهذا ما حصل مع الحسين عليه السلام.

٣. الدعوات المتوالية التي وجهها أهل الكوفة لإشــخاص الحسين عليه السلام إلى الكوفة تعلن الولاء والاســتعداد لتأييد النهضة الحســينية في مواجهة الحكم الأموي الفاسد، ولم يذكر التاريخ أن غير الكوفة خاطبوا الحسين أو دعوه مثل ما دعوه الكوفيون، وذلك لان اكثر الأمصار الإسلامية كانت إما مؤيدة للحكم الأموي أو مقهورة باضطهاد وتسلط العمال عليها.

ولعل هناك أســباب غير ما ذكرنا لا ندركها لقصورنا عن ذلك بل ونحن نعلم أن الإمام الحســين عليه السلام كان على بينة من أمره ونتيجة الصراع وكان على علم بالظروف الموضوعية المحيطة بثورته المباركة، فضلاً عن عصمته من الزلل والأهواء.

واختــار الإمام الحســين عليه السلام الكوفة بعد خروجه مهاجــراً من المدينة إلى مكة فأعلن ثورته المباركــة بخروجه ورفضه بيعة يزيد (لع) وعمل بما يمليه الواجب الديني كمســؤول أول على صيانة الرسالة، وعلمه اليقيني بالأحــداث وكيفية انتهاء ثورته باستشــهاده فــي كربلاء حيث قال عليه السلام: ((كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء))[2]

(١) - كان أهل الكوفة يصفون الإمام الحسن عليه السلام بأنه مذل المؤمنين وانه جبن قبل لقاء عدوه وفي ثورة الحسين عليه السلام جاء لينقذهم فخذلوه ولم يثبت معه إلا القليل.

(٢) - انظر ما قبل عاشوراء/ محمد الشيخ هادي الأسدي.

إذن وجهة الحسين عليه السلام هي الكوفة أو العراق ولذا أرسل مبعوثه وثقته من أهل بيته مسلم بن عقيل عليه السلام إلى تلك الجهة، ذلك السفير الحازم الممثل المعتمد والبطل المجتهد والوافد الأكرم أول شهداء الثورة الحسينية الذين تأطرت بدمائهم الرسالة الإلهية وأشرقت بهم صفحات التأريخ.

الكوفة سياسياً

أصبحت الكوفة مسرحاً لنشاط مجموعة من التيارات السياسية نتيجة الثقافة الأموية في الكوفة والتي بدأت في دخول المغيرة بن شعبة[1] الكوفة والياً لمعاوية ومن هذه التيارات ما يلي:

١. التيار الشيعي:

وكان يضم كبار أصحاب الإمام علي عليه السلام ممن قاتلوا معه في حروبه الثلاث وكانوا بعده مع ولده الحسن عليه السلام إذ مارس هؤلاء دوراً مهماً في مواجهة الهجمة العقائدية والضغط السياسي الذي وجهته السلطة الأموية ضد التشيع فقدمت التضحيات الجسام، أمثال أولئك، رشيد الهجري وميثم التمار وحجر بن عدي وغيرهم فضلاً عن وجود قاعدة اجتماعية عريضة من الناس تتشيع لأمير المؤمنين عليه السلام وتهوي أفئدتها نحو أهل البيت عليهم السلام.

(١) –المغيرة بن شعبة/ أول والٍ لمعاوية على الكوفة واستمرت ولايته من (٤١-٥٠) هـ وكان أميناً في تنفيذ سياسة العهد الجديد (الأموي) سياسة القتل والحصار الاقتصادي.

٢.التيار الخارجي:

وهو تيار لم يكن يملك قاعدة جماهيرية كبيرة داخل الكوفة بسبب أنه كان محاصراً من جهتين، جهة اجتماعية تمثلت بالشيعة بسبب العداء العقائدي ومسؤولية الخوارج في قتل سيد الأوصياء عليه السلام ومحاولة اغتيال الإمام الحسن عليه السلام وجهة السلطة.

٣.التيار المؤيد للسلطة:

وهو تيار ليس بالقليل، فقد بدأ ضعيفاً في الكوفة لكنه أخذ يقوى طيلة السنوات التي تأمّر فيها المغيرة الكوفة، وزياد بن أبيه[١] ويتألف عناصر هذا التيار من الأعداء الحقيقيين لأهل البيت عليهم السلام من بني أمية وأنصارهم، ومن المقاتلة (الجيش) الذي كان يمثل القوة الحقيقية الرسمية للدولة ومن الشرطة وقياداتها ومن رؤساء الأرباع [٢] والعرفاء وأصحاب المناصب والمصالح والمتملقين كابن الأشعث وابن ربعي وابن أبجر وعمرو بن الحجاج، ومن على شاكلتهم.

(١) – ولّى معاوية زياد بن أبيه على البصرة سنة (٤٥هـ) وكان زياد يحسب من شيعة علي عليه السلام فأصبح أشد أعداء شيعة علي عليه السلام، ثم ولاه الكوفة مع البصرة بعد موت شعبة سنة (٥٠) هجرية ليقيم ستة أشهر في البصرة ومثلها في الكوفة.

(٢) - أول تمصير للكوفة كانت على عشرة أقسام في كل قسم كان ينزل عدد من القبائل العربية ثم أعيد تمصيرها إلى سبعة أقسام وفي عهد علي عليه السلام ثم تغيير شكلها إلى خمسة أقسام ثم في العهد الأموي إلى أربعة أقسام وكان في عهد الأمير علي عليه السلام تسمى الشرطة بشرطة الخميس نسبة إلى أقسام الكوفة.. انظر تأريخ الكوفة للسيد حسين بن السيد أحمد البراثي تحقيق السيد محمد صادق بحر العلوم.

استقلال الكوفة

بعد موت زياد بن أبيه عادت الكوفة والبصرة إلى الانفصال يحكم كل منهما والي مستقل معين من قبل معاوية وذلك ما بين سنة (٥٣-٦٠) هجرية عندما عين عبد الله بن خالد بن أسيد والياً على الكوفة، وسمرة بن جندب والياً على البصرة، واستمرت ولاية عبد الله بن خالد للكوفة حتى سنة ٥٥ هجرية ثم عزله معاوية وعين بدلاً عنه الضحاك بن قيس الفهري واستمرت ولايته حتى سنة ٥٨ هجرية عندها عزله معاوية وعين على الكوفة ابن أخته عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان بن ربيعة الثقفي المعروف بابن أم الحكم وكان هذا الوالي أكثر تجاهراً بالفسق والفجور من أسلافه واستمرت ولايته لغاية عام ٦٠ هجرية بعد أن طردته المعارضة في الكوفة التي تطورت وأصبحت أكثر شمولاً، عندها عين معاوية النعمان بن بشير الأنصاري فاستمر على ولايته إلى أواخر عام ٦٠ هجرية، وبعدها عين يزيد (لع) عبيد الله بن زياد على الكوفة جامعاً له ولاية المصرين (البصرة والكوفة).

شيعة الكوفة

إن مدينة الكوفة هي من أقدم الأمصار الإسلامية فقد جاء تمصيرها بعد البصرة بقليل وسكنتها أقوام مختلفة الاتجاهات والمعتقدات، اتخذها أمير المؤمنين علي عليه السلام عاصمة للدولة الإسلامية في خلافته، وبانتهاء الخلافة الراشدة بعد صلح الحسن عليه السلام، انتقلت العاصمة إلى الشام وسعى معاوية خلال حكمه للقضاء على الشيعة وتشريدهم وتمزيقهم،

وحين مات كانت الكوفة قد تقاسمتها اربع فئات هي:

(الفئة الأولى): أتباع السلطة وأركان الحكم وهم يمثلون النخبة الحاكمة من رؤوس الأرباع والشرطة والجند والزعماء والعرفاء.

(الفئة الثانية): تمثل طليعة الشيعة ونخبتهم المثقفة المتدينة من قراء وعلماء وزعماء قبليين كانوا خارج جهاز الحكم تلاحقهم بتهمة العداء للسلطة.

(الفئة الثالثة):تمثل الخوارج وهم أقلية قليلة داخل الكوفة.

(الفئة الرابعة):تمثل السواد الأعظم من الناس من لا يهمهم من يكون الحاكم بل يهمهم أن يكونوا في سلامة ودعة ومعاش جار، وهؤلاء حينما يؤيدون حركةٍ ما فإنما يفعلون ذلك طمعاً في الحصول على مغنم دون أن يكونوا مستعدين للتضحية من أجل ذلك.

التركيب المعقد لمجتمع الكوفة

حقاً إنه لمجتمع معقد التركيب حيث يتعدد فيه كل شيء ومنها:

أولا– التركيب الديني:

استوطنت الطوائف الدينية المتعددة في الكوفة بشكل واسع وقد اختلفت طرق وصولهم وكيفية مجيئهم، فمنهم من جاء بمحض اختيارهم ومنهم من وصل بصفة أسرى حرب ومنهم من جاءت بهم التجارة ومنهم

مــن أجلاهم عمر بــن الخطاب عن المدينة والحجــاز ومن عناصر هذا التركيب:

١. اليهود: يهود المدينة والحجاز الذين أجلاهم عمر بن الخطاب.

٢. النصارى: وهم:

أ. النساطرة: كانت لهم كنائسهم الخاصة بهم وأسقف خاص بهم.

ب. اليعقوبيــة: كان أغلبهم مــن نصارى نجران وتغلــب وكذلك لهم كنيستهم وأسقفهم.

٣. الصابئة: وكان عددهم قليل وقد سكنوا الكوفة منذ تمصيرها.

٤. المجوس: قدموها كأسرى حرب، وسكنوها موالين، مثل (الزرادشتية والمانوية والمزدكية).

ثانيا- الاختلاف القومي:

كان فــي المجتمــع الكوفي اختلافا قوميا واضحــا يضم عدة قوميات منها:

الأتراك. الأكراد. الفرس. الروم. السريانيون.

ثالثا- التنوع القبلي:

كان تمصير الكوفة على الأسباع وهذا يعني تنوع القبائل فكان المجتمع الكوفي يضم القبائل التالية:

١. كنانة وحلفاؤها من الأحابيش وكانوا يوالون السلطة[١].

٢. قضاعة وغسان وكندة وحضرموت والأزد.

(١) - نقصد السلطة الأموية.

٣. مذحج وحِميَر وهمدان وحلفاؤهم وهم معارضون للسلطة.

٤. تميم وحلفاؤهم.

٥. أسد وغطفان وتغلب.

٦. أياد وعبد شمس.

٧. طي اليمانية.

رابعا- التفاوت الطبقي:

كان فـي مجتمع الكوفة تفاوتا طبقيا واضحـا، يظهر من واقعه آنذاك وكما يلي:

١. طبقة الأشراف والأعيان والوجهاء وهؤلاء متواطئون مع السلطة.

٢. طبقة الموظفين التابعين مباشـرةً لقصر الأمير، كالشـرطة والجلاوزة والنقباء والعرفاء ممن بيدهم إحصائيات الناس حسب محلات سكناهم.

٣. طبقة الكادحين والكسـبة من ذوي الأعمال الحرة والمهن المستقلة وأصحاب الدكاكين في الأسواق.

٤. طبقة العبيد والموالي- وهذه الطبقة المسحوقة.

٥. طبقـة المرتزقة وهي طبقة جمهور الجند الذي تصرف لهم العطاءات من بيت المال لانصرافهم إلى الغزو والقتال تنفيذاً لأوامر الولاة والحكام بلا معارضة.

ولمـا كان هذا التركيب المعقد الـذي يحتويه المجتمع الكوفي كان لا بد لمن يمثل الحسين عليه السلام أن يكون على مستوى عالٍ من الوعي والفكر

وأن يكون سياسياً وقائداً ميدانياً واسع الخبرة والاطلاع حتى يمثل سفارة الحكومة الإلهية، فكان اختيار الإمام الحسين عليه السلام دقيقاً لمن يمثله في الكوفة حيث اختار مسلم بن عقيل عليه السلام مخاطباً أهل الكوفة في الرسالة التي بعثها إليهم معه:

((وقد بعثت إليكم أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي مسلم بن عقيل وأمرته أن يكتب إليَّ بحالكم وأمركم ورأيكم[1]...))

فكان مسلم عليه السلام ممثلاً شخصياً ونائباً خاصاً ومبعوثاً معبراً عن سيرة الحسين عليه السلام وسياسته، يفصح عن مدى ما يحمله مسلم عليه السلام من امتيازات كامنة في روحه وعلمه وجديته وشجاعته وباقي مؤهلات المهمة المبعوث فيها، وأن مهمته ليست محدودة وتحتاج إلى سفير فوق العادة لا نائباً دنيوياً ولا سفيراً مقيداً، بل كانت مهمته مطلقة في شتى الشؤون الدينية والدنيوية، واسعة الصلاحيات متفرعة المسؤوليات بحكم ما تقتضيه ظروف المرحلة والقضية آنذاك.

فمسلم عليه السلام حوى جملة من الفضائل والصفات التي تميزه عن سواه، كالفقه والتقى والورع واليقظة والعز والعمل وفاضل مظاهر مقومات المجد، حتى قال الحسين عليه السلام فيه:

((أخي وابن عمي وثقتي من أهل بيتي...)).

(١) - تاريخ الطبري/ج٤ ص٢٦٣

مسلم في سطور

الاسم: مسلم.

الأب: عقيل [١] بن أبي طالب.

الأم: جارية نبطية سميت عليّه من فرزندا [٢].

ولادتـــه: ولد في المدينة في دار عقيل فـــي البقيع وقيل كان عمره يوم إستشـــهاده (٢٨سنة) (٣٤ ســـنة) (٣٨ سنة) (٥٠ ســـنة) و الصحيح والأقرب إلى الواقع (٥٠ سنة).

تأريخ استشهاده: ٨ ذي الحجة سنة ٦٠هجرية.

نساؤه: رقية بنت علي بن أبي طالب، أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، أم ولد.

أولاده: عبد الله [٣]، محمد، إبراهيم [٤].

مكان الدفن: الكوفة – مسجد الكوفة.

قاتله: بكر بن حمران بأمر ابن زياد.

---

(١) – عقيل بن أبي طالب - كان نســـابة عالماً بأنساب العرب وقريش، خرج يوم بدر فأســـر وفداه عمه العباس، ولد بعد ولادة النبي ﷺ بعشـــر ســـنين وكان رسول الله ﷺ يقول لأصحابه يوم بدر: (إني عرفت رجالاً من بني هاشـــم قد خرجوا إلى بدر كرهاً فمن لقي منكم أحداً منهم فلا يقتله)، توفي عقيل سنة ٦٠ هجرية أما عقبه في محمد لا غير - تأريخ الطبري ج٢ ص٢٨٢.

(٢) - قيل أن أمه أمة كان عقيل قد اشتراها من الشام فولدت له مسلماً.

(٣) - أمه رقية بنت علي عليه السلام من شهداء ألطف قتله عمرو بن صبيح.

(٤) - أمهما أم ولد ســـجنا بعد أســـرهما ووضعا في الســـجن لفترة ثم هربا بأمر الســـجان (أسمه مشكور) الذي قتله ابن زياد (لع) فيما بعد، ثم عثر عليهما أحد جلاوزة ابن زياد (لع) فقتلهما قيل اسمه الحارث بن عروة، وقدم رأسيهما إلى ابن زياد (لع) وكان عمر أحدهما ٨ والآخر ٩ سنين.

قرارات مؤتمر الشيعة في بيت الخزاعي

كانت الشـيعة قد اجتمعت في دار سليمان بن صرد الخزاعي وكان من وجوه الشـيعة وكبار أهل الكوفة، وقد صدرت عدة قرارات في مؤتمرهم هذا، منها ما يلي:

١. الدعم الكامل للإمام الحسين عليه السلام.

٢. خلع بيعة يزيد (لع).

٣. إرسال وفد للإمام الحسين عليه السلام يدعونه القدوم إليهم.

٤. بعث الرسائل من مختلف الطبقات والشخصيات للإمام الحسين عليه السلام يدعونه فيها لتسلم قيادة الأمة.

مسلم عليه السلام إلى الكوفة:

أرسـل الإمام الحسين عليه السلام مبعوثه مسـلم بن عقيل عليه السلام إلى الكوفة[1] فسار على بركة الله تعالى يحمل كتاب الحسين عليه السلام وتعليماته للعمل في أهل الكوفة، وجَدّ بالسـير لا يلوي على شـيء حتى وصل الكوفة وحل ضيفـاً في دار المختار بن أبي عبيـدة الثقفي. ورحب الكوفيون بالضيف الكريم ترحيب الإخلاص وأقبلوا يتسـابقون للتسليم عليه وتقديم واجب الطاعـة والانقياد، فاكتظت الشـوارع بجماهير الكوفييـن وامتلأت دار المختار على سعتها بالمزدحمين.

(١) - غادر مسلم عليه السلام مكة المكرمة ليلة المنتصف من رمضان وعرج على المدينة فصلى في جامع الرسـول صلى الله عليه وآله وطـاف بضريحه وودع أهلـه وأصحابه وتوجـه نحو العراق ومعه: (قيس بن مسـهر الصيداوي، عمارة بن عبد الله السلولي، عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي، دليلين استأجرهما).

وكان مسلم عليه السلام يتلو كتاب الحسين عليه السلام إليهم والذي يأمرهم فيه بإقامة السنن الإسلامية وإحياء العدل والشرع ويحثهم على التعاون في سبيل الإصلاح.

وكان هذا المؤتمر الأول الذي عقده سفير الحسين عليه السلام مع أهل الكوفة التي أعلنت نصرتها للدين والعدل والتأكيد على بيعتها ونصرتها لسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولم تمض سوى أيام قليلة حتى ضم ديوانه (الذي دونت به أسماء من بايع لنصرة الحسين عليه السلام) أثنى عشر ألفاً وقيل ثمانية عشر ألفاً وقيل أكثر من ذلك كلهم من أهل العراق.

وما رآه مسلم عليه السلام من أهل الكوفة من تفاني وإخلاص ومحبة لأهل البيت عليهم السلام وبيان نواياهم وإظهار إنكارهم ليزيد (لع) والبيت الأموي، ذلك الذي جعل مسلم بن عقيل أن يكتب للحسين عليه السلام كتاباً وأرسله إلى مكة بتعجيل القدوم إلى الكوفة وهذا نص الكتاب:

(الرائد لا يكذب أهله وقد بايعني من أهل الكوفة ثمانية عشر ألفاً فعجل الإقبال حين يأتيك كتابي)[1] وأرسله مع عابس بن شبيب الشاكري، وضم إليه كتاب أهل الكوفة وفيه: (عجل القدوم يا ابن رسول الله فإن لك بالكوفة مائة ألف سيف فلا تتأخر)[2]، وكان ذلك قبل استشهاد مسلم عليه السلام بسبع وعشرين ليلة[3].

(١) – تأريخ الطبري ج٤ ص٢٨١.
(٢) - البحار ج١٠ ص١٨٥.
(٣) - تأريخ الطبري ج٦ ص٢٢٤.

هــذا وإن جماعة ممن لهم هوى في بني أمية كعمر بن ســعد وعبد الله بن مســلم الحضرمي وعمارة بن عتبة بن أبي معيط ساءهم ما يحصل في الكوفة وشدة تزاحم الناس حول مسلم عليه السلام فكتبوا إلى يزيد (لع) يخبرونه بالذي صنعه مســلم عليه السلام في الكوفة من يوم دخلها، وإن والي الكوفة لا حــول ولا قوة لــه ولا طاقة له على المقاومة والأمــور تنحدر عنكم إلى غيركم.

ابن زياد إلى الكوفة:

لمــا وصل كتــاب أهل الكوفة إلى يزيد اســتدعى مولاه (ســرجون)[1] يستشــيره وكان كاتبه وأنيســه فأشار عليه بعبيد الله بن زياد [2] وهذا عهد معاوية إليه وعزل النعمان بن بشير[3] والي الكوفة، فبادر يزيد بتولية جامع الصفات الخبيثة ومجمع الشــرور والأرجاس ابن مرجانة في توليته الكوفة ومــا أن يضع كتاب يزيد من يده حتى يرحل إلى الكوفة ويضيّق على (ابن عقيل) ويتبع من شايعه بالقتل والسجن ويستأصل تابعيه.

(١) – كان ســرجون بن منصور من نصارى الشــام اســتخدمه معاوية في مصالح الدولة كمستشار له.

(٢) - كان والي على البصرة فأضاف إليه ولاية الكوفة.

(٣) - النعمان بن بشــير صحابي حجازي تغلبي، لم يســتعمل العنف في ردع الثوار ولم يضغط على حريتهم، وكان منحرفاً عن يزيد بن معاوية لأن يزيد كان شــديد البغض للأنصار وكان ســبب بغض يزيد للأنصار ثلاثة أمور هي:

(أ). أنهم نصروا النبي صلى الله عليه وآله وقتلوا كفار بني أمية في بدر وأحد.

(ب).أنهم نصروا علي بن أبي طالب عليه السلام في حروبه الثلاث ولم يكن مع معاوية في صفين من الأنصار سوى رجلين أحدهما النعمان بن بشير والثاني مسلمة بن مخلد وقد حقد أبوه معاوية قبله على الأنصار.

(جـ).قصة تغزل عبد الرحمن بن حسان برمله بنت معاوية بن أبي سفيان أخت يزيد بقصيدة (المجزيــة) التي لعبت بألباب المطربين، ممــا جعل معاوية يطلب من كعب بن جعيل هجو الأنصار فرفض وأرشده إلى الأخطل فهجا الأنصار عندها دخل النعمان على معاوية حاسراً رأسه فقال له ما ترى في الأنصار، فطيب معاوية خاطره وأجزاه فانتهى.

ثم بعث كتابه بيد مسلم بن عمرو الباهلي إلى عبيد الله بن زياد وكان مضمون الكتاب ما يلي:

(فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أن ابن عقيل بالكوفة يجمع الجموع لشق عصا المسلمين فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي أهل الكوفة فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه فتوثقه أو تقتله أو تنفيه والسلام).

فأقبل (مسلم بن عمرو الباهلي) حتى قدم على (عبيد الله) البصرة، فأمر عبيد الله بالجهاز والتهيؤ والمسير إلى الكوفة من الغد، سار إلى الكوفة قاصداً محل إمارته الجديد ومركز ولايته التي كان يتمناها زمناً طويلاً[1]، وكان ليلة خروجه من البصرة قد قتل رسول[2] الحسين عليه السلام إلى البصرة والذي بعثه ليطلب نصرة وجهاء البصرة وأشرافها مثل يزيد بن مسعود النهشلي والمنذر بن الجارود، فامتثل يزيد لأمر الإمام عليه السلام وجمع عشائره وأبدى النصرة ولزوم الطاعة وبعث بكتاب إلى الإمام الحسين عليه السلام يخبره الطاعة والنصرة، أما ابن الجارود فقد جاء بالرسول والكتاب إلى عبيد الله بن زياد، لأن المنذر كانت ابنته [3] تحت عبيد الله بن زياد فخاف أن يكون الكتاب والرسول دسيساً من عبيد الله وبالنتيجة أخذ عبيد الله رسول الحسين عليه السلام وصلبه ولما أصبح استناب على البصرة أخاه عثمان وأسرع هو إلى قصد الكوفة.

أقبل ابن زياد إلى الكوفة ومعه مسلم بن عمرو الباهلي وشريك بن الأعور الحارثي [4] وحشمه وأهل بيته حتى دخل الكوفة وعليه عمامة سوداء وهو متلثم والناس قد بلغهم إقبال الحسين عليه السلام فظنوا أنه هو،

(١) – سفير الحسين / عبد الواحد شيخ أحمد المظفر/ ص٧٤.
(٢) - سليمان بن رزين أو يكنى بأبي رزين وهو مولى الحسين عليه السلام.
(٣) - كان اسمها بحرية بنت المنذر بن الجارود العبدي.
(٤) - كان موالياً لأهل البيت عليهم السلام وكان قد مرض أثناء سفره فنزل على هانئ بن عروة رحمه الله.

فأخذ لا يمر على جماعة من الناس إلا سلموا عليه وقالوا: مرحباً بك يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم، فرأى من تباشيرهم ما أساءه، ووقف عند قصر الإمارة والنعمان قد غلق أبواب القصر، فوبخه ابن زياد ودخل القصر وأعلمه بولايته للكوفة وعزله.

لما أصبح بن زياد نادى مناديه في الناس الصلاة جامعة، فاجتمع الناس فخرج إليهم فحمد الله وأثنى عليه ثم وعد وتوعد، وبعد خطبته أخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، وهدد من يخرج عن طاعة يزيد يصلب على باب داره، هذا ومسلم عليه السلام يسكن دار المختار[1].

سياسة ابن زياد

قام عبيد الله بن زياد فور وصوله الكوفة بعدة إجراءات خطيرة تحكي عن رسم سياسته العامة تجاه أهل الكوفة مكنته من السيطرة على المواقف الساخنة لأهل الكوفة ذلك الواقع الثائر أو المستعد للثورة ومنها:

١. استخدم لغة التهديد والوعيد، وإن هناك جيش قادم من الشام.

٢. لم يذكر في خطاباته مسلم بن عقيل عليه السلام وكذلك لم يتعرض للإمام الحسين عليه السلام والبيعة له.

٣. أخذ العرفاء أخذاً شديداً، طالباً منهم التشديد في الإجراءات الاحترازية وتقديم أسماء الغرباء والمطلوبين من قبل السلطة من خلالها يعرف مكان مسلم عليه السلام، وكانت عقوبة المقصر في أداء واجبه من العرفاء هي براءة الذمة من المال والدم.

(١) - جلاء العيون ج٢ ص٤٠٦/ السيد عبد الله شبر.

٤. دس العيون في أوساط المجتمع الكوفي لنقل الأحداث والأخبار أول بأول إلى السلطة.

مسلم عليه السلام في ضيافة هاني

لما سمع مسلم عليه السلام بمجيء عبيد الله إلى الكوفة ومقالته وما أخذ على العرفاء والناس، خرج من دار المختار وانتهى إلى دار هانئ بن عروة فنزل عليه ضيفاً فأخذت الشيعة تختلف إليه في دار هانئ على تستر واستخفاء من عبيد الله وتواصوا بالكتمان.

هذا وكان شريك بن الأعور الهمداني جاء مع عبيد الله بن زياد فمرض فنزل دار هانئ أياماً، واتفق مع مسلم عليه السلام أن يقتل عبيد الله بن زياد عند زيارته لمرضه وكان علامة ذلك، أن يقول شريك أسقوني ماءً[1]، فأتاه ابن زياد عائداً وبعد ساعة طلب الماء وكرر ذلك ولم يستجب مسلم عليه السلام لذلك حتى انصرف ابن زياد وما أن خرج من دار هانئ حتى قال شريك لمسلم عليه السلام ما منعك من قتله؟ قال مسلم عليه السلام: خصلتان: إحداهما كراهية هاني أن يقتل في داره، وثانيهما: حديث حدثته الناس عن النبي صلى الله عليه وآله أن الإيمان قيد الفتك فلا يفتك مؤمن، فقال له هاني رضي الله عنه أما والله لو قتلته لقتلت فاسقاً فاجراً كافراً.

وهكذا ترفّع مسلم عليه السلام عن الفتك والغدر ليعلن للناس أن الحق يجب أن ينتصر بالسبل المشروعة والطرق الصحيحة.

(١) - إنه لما دخل ابن زياد (لع) على شريك وسأله عن وجعه وطال سؤاله ورأى أن أحداً لا يخرج فخشي على أن يفوته فأخذ يقول شعراً:
ما الانتظار بسلمى أن تحيّيها كأس المنية بالتعجيل أسقوها

الخديعة تقع بهاني رضي الله عنه

أرسل ابن زياد جواسيسه في الكوفة ليطلب ابن عقيل عليه السلام وأصحابه، وبمكر وخبث وخديعة تمكن أحد الجواسيس (وهو معقل) من الوصول إلى مكان مسلم عليه السلام ومعرفة من يأويه من وجوه الكوفة وذلك عن طريق مسلم بن عوسجة رضي الله عنه بعد أن توسل إليه وتباكى مظهراً بيعته واتباعه لرسول الحسين عليه السلام، هذا وقد حضر عند مسلم بن عقيل عليه السلام وأعطاه الأموال التي كان ابن زياد قد دفعها له حتى لا يشك أحداً به.

هذا وأصبح خبر مسلم وهاني عند ابن زياد فأرسل حسان بن أسماء بن خارجة ليحضر هاني رضي الله عنه بحجة لقاء ابن زياد وأداء حقه كأمير للكوفة، والذي فاجأ هاني أن ابن زياد أخبره بكل ما يدور في داره وأن مسلم بن عقيل عليه السلام في داره وفي إجارته، فأنكر هاني ذلك القول، عندئذ أخرج اللعين معقلاً، فعرف هاني ما دُبّر له، فرفض إعطاء مسلم وإنه في ذمامه، وجرى كلام طويل بين هاني وابن زياد حتى تدخل مسلم بن عمرو الباهلي[1]، واستأذن ابن زياد ليتكلم مع هاني على انفراد، فسمح له بذلك، وتحاور الباهلي مع هاني ليسلمه مسلماً عليه السلام[2]، فرفض هاني رضي الله عنه باعتبار ذلك فيه الخزي والعار، هذا وابن عروة يقول لا أدفعه إليه أبداً، فسمع ابن زياد ذلك، فقال: لتأتيني به أو لأضربن عنقك، فقال هاني: إذن والله لتكثر البارقة حول دارك.

عندها غضب ابن زياد فضرب وجه هاني بقضيب كان يحمله بيده ولم يزل يضربه حتى كسر أنفه وسالت الدماء على وجهه ولحيته وأمر جلاوزته بسجنه في إحدى دور القصر، وبلغ عمرو بن الحجاج أن هانئاً

(١) - مسلم بن عمرو الباهلي ليس بالكوفة شامي ولا بصري غيره. /جلاء العيون ج٢ ص٤٠٩.
(٢) - تحول مسلم عليه السلام من دار المختار إلى دار هانئ بن عروة لسبب أن هانئ أقوى جانباً وأكثر عدداً فهو الزعيم المطاع في قومه (مذحج خاصة والقحطانيين عامة) في الكوفة.

قتـــل، فأقبل في مذحج حتى أحاط بالقصـــر ومعه جمع عظيم ثم نادى: أنا عمرو بن الحجاج وهذه فرســـان مذحج ووجوهها، لم تخلع طاعة ولم تفارق جماعة وقد بلغهم أن صاحبهم قتل فأعظموا ذلك، فقيل لعبيد الله بن زياد: هذه مذحج بالباب، فقال لشريح القاضي: ادخل على صاحبهم فانظر إليه، ثم اخرج وأعلمهم أنه حي لم يقتل.

وقام اللعين الآخر بخدع مذحج حيث قال لهم أنه حي لم يقتل وأن من أبلغكم أنه قتل باطل، فانصرف عمرو ومذحج وتفرق عن قصر الإمارة.

بعـــد ذلك صاح أحدهم وهو منادي مســـلم بن عقيـــل عليه السلام يا منصور أمت، فتنادى أهل الكوفة واجتمعوا عليه فعقد مســـلم عليه السلام الراية وساروا نحـــو القصر وحاصروه وابن زياد في داخله لا حول له ولا قوّة إلاّ المكر والخديعة، فأرســـل من كان على خطه الفاسد من وجهاء الكوفة فدعا ابن زياد كثير بن شـــهاب وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج فيســـير في الكوفـــة ويخذل الناس عن ابن عقيـــل ويخوفهم الحرب ويحذرهم عقوبة السلطان، وكذلك أمر محمد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت فيرفع راية أمان لمن جاءه من الناس، وقال مثل ذلك للقعقاع بن شـــور الذهلي وشبث بن ربعي التميمي وحجار بن أبجر العجلي وشمر ابن ذي الجوشن العامري، ففعل كل على حدة ما طلبه منه ابن زياد، حتى تفرقوا عن مســـلم ابن عقيل عليه السلام[1]، ولم يبقَ مع مسلم عليه السلام سوى ثلاثون نفســـاً صلى بهم المغرب في المســـجد ثم خرج متوجهاً إلى أبواب كنده فلما بلغ الأبواب لم يكن معه إلا عشـــرة ثم خرج من الباب فإذا، وحيداً

(١) - كانت مقولة الوجهاء من الحزب الأموي: قد أعطى الله الأمير عهداً لئن قمتم على حربه ولم تنصرفوا من عشيتكم أن يحرم ذريتكم العطاء ويفرق مقاتلتكم في مغازي الشام وأن يأخذ البريء منكم بالسقيم والشاهد بالغائب حتى لا يبقى له بقية من أهل المعصية إلاّ أذاقها وبال ما جنت أيديها ولما سمع الناس مقالتهم أخذوا يتفرقون وكانت المرأة تأتي ابنها أو أخاها ويجيء الرجـل إلـى ابنه أو أخيه فيقول: غداً تأتيك أهل الشـام فما تصنع بالحرب والشـر انصرف، حتى تفرق الناس عن مسلم عليه السلام فأمسى وصلى المغرب وما معه إلاّ ثلاثون نفساً في المسجد.

فريداً ليس معه من يدليه الطريق ولا إنسان يواسيه بنفسه أن عرض له عدو أو ينزلــه منزله، فمضى على وجهه متلدّداً فــي أزقة الكوفة لا يدري أين يذهب حتى خرج إلى دور بني جبلة من كنده.

وساطة الباهلي

عندما تدخل مســلم بن عمرو الباهلي وأخذ دور الوسيط بين هاني بن عروة رضي الله عنه وابن زياد لم تكن في الحقيقة وســاطة إصلاح ولا نصيحة لهذا الزعيم المعتقل إنما هي غش له والتقرب للطاغين، فكان قوله لهاني رضي الله عنه: (إنّي أنشــدك الله أن تقتل نفســك وتدخل البلاء على قومك وعشيرتك فوالله إني لأنفس بك عن القتل، وهو يرى أن عشيرته ستتحرك في شأنه، إن هذا الرجل ابن عم القوم وليســوا قاتليــه ولا ضائريه، فادفعه إليه فإنه ليس عليك بذلك مخزاة ولا منقصة إنما تدفعه إلى السلطان) قال: (بلى والله إن علــي في ذلك للخزي والعار، أنا أدفــع جاري وضيفي وأنا حي صحيح أسمع وأرى شديد الساعد كثير الأعوان والله لو لم أكن إلا واحداً ليس لي ناصر لم أدفعه حتى أموت دونه).

الاحتمالات التي أوجبت تفرق الناس عن مسلم عليه السلام

هناك احتمالات عدة أوجبت تفرق الناس عن مســلم بن عقيل عليه السلام أو تخلف الخلص والصفوة من الشيعة عنه، وكلنا يعرف أن في الكوفة شيعة ولائية لأهــل البيت عليهم السلام وظهر ذلك جلياً في واقعة الطف ولو أنها قليلة إلا أنها موجودة، ومن هذه الاحتمالات ما يلي:

١. قد يكون مسلم عليه السلام قد أرسل ثقاته من كبار الشيعة إلى القبائل المجاورة تدعو إلى مناصرة الحسين عليه السلام.

٢. لم يكن الهدف من الدعوة إسقاط حكومة الكوفة (أي لم يكن مكلف بذلك).

٣. الإشاعات التي مزقت صفوف أهل الكوفة واخترقت دورهم حتى جعلت المرأة تخرج من خدرها لترد ولدها أو زوجها وغير ذلك.

٤. قدم ابن زياد ومعه (٥٠٠) خمسمائة مقاتل من أهل البصرة اختارهم للّحوق به إلى الكوفة.

٥. غلق الطرق والمنافذ وإعلان حالة الطوارئ والأحكام العرفية وذلك بإقامة المسالح [١] على المنافذ الرئيسية للكوفة.

٦. جمع ابن زياد أهل الكوفة ووعدهم بنصرة مظلوميهم وتسليط سيفه وسوطه لمن عصى أمره، كما أنه جمع الأشراف وأمرهم أن يشرفوا على الناس فيمنونهم بالزيادة والكرامة، ويحذرونهم الحرمان والعقوبة وأن جيش الشام المقبل لا قبل لكم به.

ابن عقيل في ضيافة طوعة

وقف مسلم عليه السلام عند باب امرأة [٢] كانت تنتظر ولدها وقد خرج مع الناس، طلب مسلم عليه السلام من المرأة ماءً، فشرب وجلس عند بابها فلم تأذن له، فعرّفها بنفسه، ولما عرفت أنه مسلم بن عقيل عليه السلام أدخلته

(١) - نقاط التفتيش المعروفة في يومنا هذا باسم (السيطرات).

(٢) - المرأة يقال له طوعه أم ولد كانت للأشعث بن قيس فأعتقها وتزوجها أسيد الحضرمي فولدت له ولد سماه (بلال) وبلال هذا هو الذي تنتظره طوعه على باب الدار.

دارهـا وضيفته وأحسـنت ضيافتها له، ولما عاد ولدهـا إلى الدار لمس منهـا الاهتمام بدخول بيت في دارها غير الـذي تكون فيه، فألحّ عليها ولدها لمعرفة سـبب كثرة الدخول والخروج لذلك البيت وبعد أن أخذت عليه المواثيق أطلعته على أمر ضيفها وأنه مسلم بن عقيل عليه السلام فلم يبادر لعمل شـيء حتى أصبح فذهب إلى محمد بن الأشـعث[1] وأعلمه بخبر مسلم عليه السلام وسرعان ما أخبر ابن الأشعث ابن زياد وكان ابن زياد قد أوكل الحصين بن نمير سكك الكوفة ودورها،(وكان شعار الحكومة) قد برئت ذمة الله تعالى من وجد مسـلم عليه السلام في داره وكان الحصين على شـرطة الكوفة.

ولما وصل خبر مسـلم عليه السلام إلى ابن زياد (لع) عن طريق إبن الأشـعث فأرسـله على رأس قومه وبعث معه عبيد الله بن عباس السلمي في سبعين رجلاً من قيس حتى أتوا الدار التي فيها مسلم عليه السلام.

ولما سمع مسـلم عليه السلام وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال علم أنه قد أتي، فخرج إليهم بسـيفه، فاقتحموا عليه دار طوعة فشد عليهم يضربهم بالسـيف حتى أخرجهم من الدار، ثم اقتحموا دار طوعه مرة أخرى وشد عليهم حتى أخرجهم وقد تكاثروا عليه واختلف بضربة مع بكر بن حمران الأحمري، فضرب بكر فم مسـلم فقطع شـفته العليا وأسرع السيف إلى السفلى وفصلت له ثناياه، وضرب مسلم عليه السلام رأس بكر ضربة منكرة وثناه بأخرى على حبل عاتقه كادت أن تقتله ولما رأى القوم شـدّ مسـلم عليه السلام أشـرفوا عليه من فوق الدور وأخـذوا يرمونه بالحجارة ويضرمون النار في القصب ثم يرمونه به، حتى خرج إلى السـكة وهو يقاتلهم حتى أعجزهم فتكاثروا عليه وطلب ابن الأشـعث المدد من الرجال والسـلاح من ابن

(١) - أعلم بلال خبر مسـلم عليه السلام إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشـعث حيث أوصل الخبر إلى ابن زياد.

زياد (لع)، و مسلم عليه السلام يريهم شجاعة بني هاشم وصولة علي عليه السلام وهو يرتجز ويقول:

أقسمت لا أقتل إلاّ حراً وإن رأيت الموتَ شيئاً نكراً
ويخلط البارد سخناً مراً رد شعاع الشمس فاستقرا
كل امرئ يوماً ملاقٍ شراً أخاف أن أكذب أو أغرّا[1]

هذا وقد عرض ابن الأشعث الأمان عليه ومسلم عليه السلام يقاتلهم حتى أثخن بالجراح بسبب الحجارة التي كانوا يرمونه بها وعجز عن القتال وأسند ظهره إلى جنب الدار التي كان يقاتل دونها، وتكاثروا عليه من كل جانب وأحاطوا به حتى أخذوه بالخديعة والمكر ونزعوا سيفه وحمل على بغلة إلى قصر الإمارة. وكان مسلم عليه السلام يردد إنا لله وإنا إليه راجعون ثم يبكي، فقيل له ما يبكيك فقال: ما أبكي نفسي وإنما أبكي لأهلي المقبلين.. أبكي الحسين وآل الحسين.

طلب المدد[2]

طلب قائد الحملة ضد مسلم عليه السلام المدد العسكري من ابن زياد لأمرين هما: الفشل في أصحابه والوهن فيهم.

وكان ابن الأشعث لا يقاتل مسلماً بل يقاتل الإسلام في مسلم عليه السلام، وإنه أدرك أنه في معركة مع جيش قوامه رجل وألوف متداخلة في فرد، وقد عجز أن ينتصر، وقد قدم الكثير من الأنفس.

(١) – الأبيات لحمران بن مالك وتمثل بها مسلم عليه السلام.

(٢) - الرائد السفير مسلم بن عقيل عليه السلام

شجاعة مسلم عليه السلام

قــد ورث ابن عقيل شــجاعته من عمه علي عليه السلام وهــو أحد قواده في صفين وقد عبر مســلم عليه السلام عن شــجاعة البيت الهاشمي بصلابته وصبره ويمكن أن نقول أن شجاعة مسلم عليه السلام تتمثل في:

١. الشــجاعة التكوينية (الظاهرية): حيث أنه دخل الكوفة وحيداً بلا عدة وعدد، وكذلك صمد بوجه الأعداء وقاتلهم وقتل منهم الجمع الكثير ولم يعبأ بجمعهم، وإن تفرق عنه الأنصار.

٢. الشــجاعة المعنوية[١]: عدم فتكه بابــن زياد وهو قادر على ذلك، وكذلــك رغم ما جرى عليــه وإصابته لم يتردد في رد ابن زياد (لع) وقول الحق، فضلاً عن إسقاطه شرعية ولاية ابن زياد وخلافة يزيد.

مسلم عليه السلام في قصر الإمارة

أقبل ابن الأشعث بمسلم عليه السلام إلى باب القصر واستأذن فأذن له فدخل على عبيد الله بن زياد (لع) فأخبره بما جرى، ومسلم عليه السلام عند باب القصر وقد اشتد به العطش وعلى باب القصر أناس جلوس ينتظرون الإذن ومنهم عمارة بن عقبة بن أبي معيط وعمرو بن حريث، مسلم بن عمرو وكثير بن شــهاب، وإذا بقارورة فيها ماء فقال مسلم أسقوني من هذا الماء، فامتنع الناس وقال مســلم بن عمــرو: لا والله لا تذوق منها أبــداً حتى تذوق الحميــم في نار جهنم، وبعث عمرو بن حريث غلاماً له فأتاه بقارورة فيها ماء عليها منديل وقدح فصب فيه الماء وقال له: اشرب فأخذ القدح ولما

(١) - عدم استمرار محاصرته قصر الإمارة وذلك لسمو نظرته وحفاظه على الأرواح فهو يعلم إن هاجم القصر ذهب خلق كثير.

قربه من فمه امتلأ القدح دماً فلم يشرب منه، وفعل ذلك مرتين فلما أراد الثالثة ليشـــرب سقطت ثناياه في القدح، فقال عليه السلام الحمد لله لو كان من الرزق المقسوم لشـــربته، وخرج رسول إبن زياد فأمر بإدخاله، فلما دخل مسلم عليه السلام لم يسلم عليه بالإمرة.

بقاء مسلم عليه السلام في الكوفة دون مغادرتها

كان لمســـلم عليه السلام بعد أن تفرق الناس من حوله أن يغادر الكوفة وينجو بنفســـه وقد كان قد أتم مهمته بعد أن عرف غـــدر أهل الكوفة وخذلانه ولكنه بقى في الكوفة لأسباب منها:

١. لإتمام الحجة على أهل الكوفة.

٢. الامتثال لأمر الحسين عليه السلام.

وصيتا مسلم عليه السلام لم تنفذ

كان لمســـلم عليه السلام وصيتان إحداهما كانت لمحمد بن الأشـــعث حين أعطاه الأمان، فأوصاه مسلم عليه السلام أن يبعث أحد رجاله إلى الإمام الحسين عليه السلام يعلمه ماذا حدث لمســـلم وعدم القدوم إلـــى الكوفة، ولم يفِ ابن الأشـــعث بأداء وصية مســـلم عليه السلام، والوصية الأخرى كانت لعمر بن سعد وكان من جلســـاء ابن زياد عندما أدخلوا عليه مسلم بن عقيل عليه السلام فقال مســـلم عليه السلام لابن ســـعد وهو من قرابته إن لي حاجة، فامتنع ابن ســـعد لســـماع حاجة مســـلم عليه السلام، إلا أن ابن زياد دفع ابن سعد للاستماع إلى حاجة مسلم عليه السلام، وقد أوصى مسلم عليه السلام ابن سعد أن يقضي ديناً عليه في

الكوفة وذلك ببيع سيف مسلم ودرعه وقضاء الدين وأن يستوهب جثته بعد قتله من ابن زياد ويدفنها وأن يبعث إلى الحسين عليه السلام من يردّه، وكان ابن سعد أخبر ابن زياد بوصية مسلم عليه السلام، ولم ينفذها.

مسلم عليه السلام وهاني رضي الله عنه إلى الرفيق الأعلى

تحاور مسلم عليه السلام مع ابن زياد وعرفه من هو ومن أبوه وكان ابن زياد يشتم علي والحسين وعقيلاً عليهم السلام حتى أخذ مسلم عليه السلام لا يكلمه فقال ابن زياد والله لأقتلنك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام فقال مسلم عليه السلام: إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن، وإنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السيرة ولؤم الغلبة لأحد أولى بها منك.

فدعا ابن زياد بكر بن حمران الذي ضربه مسلم عليه السلام بالسيف على رأسه عند لقاءه في المواجهة قبل أسره، وأمره أن يصعد بمسلم عليه السلام فوق سطح قصر الإمارة ويضرب عنقه، فصعد به ومسلم عليه السلام يكبر ويستغفر ويصلي على رسوله صلى الله عليه وآله، فضرب عنقه الشريف ورماه من فوق سطح القصر ثم أتبع جثته رأسه.

وكلم ابن الأشعث وكلم ابن زياد في هاني وأن يهبه له، فوعده ابن زياد خيراً وأن يهبه له، وأمر بهاني رضي الله عنه أن يخرجوه إلى السوق ويضرب عنقه فأخرج حتى أتي به إلى السوق وهو مكتوف فجعل يقول: وا مذحجاه ولا مذحج لي اليوم، يا مذحجاه! أي مذحج! ولما رأى أن أحداً لا ينصره، جذب يده فنزعها من الأكتاف ثم قال: أما من عصا أو سكين أو حجارة أو عظم يحاجز به رجل عن نفسه، ووثبوا عليه فشدوه وثاقاً ثم قيل له أمدد عنقك فقال: ما أنا بها سخي وما أنا بمعينكم على نفسي، فضربه

مولى لعبيد الله بن زياد تركي يقال له رشيد بالسيف فلم يصنع شيئاً فقال لـــه هاني: إلى الله المعاد، اللهم إلى رحمتـــك ورضوانك ثم ضربه أخرى فقتله، فسلام على مسلم وهاني ورحمة الله وبركاته.

ولما قتل مســـلم وهانئ بعث إبن زياد برأســـيهما إلـــى يزيد (لع) فأمر يزيد بنصب الرأســـين على باب دمشق، أما جثتيهما فقد سحبت في أزقة وأسواق الكوفة، وبعدها صلبت الجثتين في كناسة الكوفة.

نبوءة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله في مسلم عليه السلام

روي عـــن ابن عباس عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال رســـول الله صلى الله عليه وآله: عندما ســـأله علي عليه السلام عن حبه لعقيل: ((إنـــك لتحب عقيلا)): ((إي والله، إنـــي لأحبـــهُ حبين حباً له، وحبـــاً لحب أبي طالب لـــه وأن ولده لمقتـــول في محبة ولدك تدمع عليه عيون المؤمنين وتصلي عليه الملائكة المقربون)) ثم بكى رســـول الله صلى الله عليه وآله حتى جـــرت دموعه على صدره ثم قال:(إلى الله أشكو ما تلقى عترتي من بعدي)[1].

ماذا بعد قتل مسلم عليه السلام

بعد أن قتل مســـلم عليه السلام وهاني رضي الله عنه رفع ابن زياد راية الأمان حيث أوعز الطاغية إلى محمد بن الأشـــعث أن يرفع راية الأمان ويعلن إلى الملأ أن من انضم إليه كان آمناً ولعل سبب ذلك يعود إلى:

(١) - الأمالي/ الشيخ الصدوق/ص١٩١.

١. التعرف على العناصر الموالية لأهل بيت الرحمة ولمسلم عليه السلام وإلقاء القبض عليهم، وفعلاً تم اعتقال خيرة ووجهاء الشيعة أمثال (سليمان بن صرد الخزاعي[١]، المختار بن أبي عبيدة الثقفي[٢]، عبد الله بن نوفل بن الحارث، العباس بن جعدة الجدلي[٣]، عبد الله بن عمر بن عزيز الكندي[٤]، عبد الأعلى بن يزيد الكلبي[٥]) وغيرهم[٦].

٢. إعلان الانتصار والقضاء على الثورة.

٣. شل حركة المقاومة وإظهار سيطرة الدولة على جميع الأوضاع في البلاد، وبرفع راية السلطة الحاكمة سارع الكوفيون الذين كانوا مع مسلم عليه السلام وأهدافه إلى الانضمام تحتها لنفي التهمة وإظهار إخلاصهم للحكم القائم آنذاك.

٤. بدأ في التهيئة لمواجهة الحسين عليه السلام ومن معه في معركة جديدة لتصفيته عليه السلام، وفعلاً ارسل طلائع من جيشه بقيادة الحر بن يزيد الرياحي لملاقاة الحسين عليه السلام ومنعه من دخول الكوفة.

(١) - صاحب ثورة التوابين سنة ٦٥ هجرية.
(٢) - صاحب ثورة الكوفة الذي أنتقم من قتلة الحسين عليه السلام سنة ٦٦ هجرية.
(٣) - سجنه ابن زياد مدة قصيرة ثم قتله.
(٤) - أعدمه ابن زياد.
(٥) - شاب كوفي تجهز بسلاحه وخرج لنصرة مسلم عليه السلام،فقبض عليه كثير بن شهاب بن الحصين الحارثي، قتله ابن زياد بعد سجنه وبعد مقتل مسلم و هاني (رضي الله عنهما)/ انظر أنصار الحسين عليه السلام/محمد مهدي شمس الدين/ص١٢٣
(٦) - منهم عمارة بن صلخب الأزدي- شاب كوفي، خرج لنصرة مسلم بن عقيل عليه السلام متقلداً سلاحه، وعند وصول مسلم عليه السلام إلى دور بني عمارة،أراد عمارة رحمه الله الالتحاق بمسلم عليه السلام، قبض عليه ابن الأشعث وحبسه، ثم دعا به عبيد الله بن زياد- بعد قتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة(رضوان الله تعالى عليهما)- فقال له: ممن أنت؟ قال من الأزد. انطلقوا به إلى قومه فضربت عنقه فيهم./ انظر تاريخ الطبري /الطبري/ ج٤ص٢٧٦

الكوفيون المجاهدون

اعتقل ابن زياد أنصار الحسين بن علي عليه السلام ومن وافق مسلم في دعوته وبيعته، فقتل من قتل وشرد من شرد، وقد تغيب عدد غير قليل من المجاهدين مختفين في بيوتهم أو خرجوا إلى خارج الكوفة تجنباً لمكر العدو وكيده ورجاء الإسهام في الجولة القادمة مع الإمام الحسين عليه السلام فمن غير الحكمة أن يظهروا فيعرضوا أنفسهم إلى خطر محتوم لا يجدي نفعاً قياساً لجدوى ترقب الإمام والتربص بالعدو. وهؤلاء فعلاً اشتركوا في واقعة الطف مع سيد الشهداء عليه السلام أمثال هؤلاء:

١. جابر بن الحارث السلماني.

٢. مجمع بن عبد الله العائذي.

٣. مسلم بن عوسجة الأسدي.

٤. حبيب بن مظاهر الأسدي.

٥. أبو ثمامة الصائدي.

٦. حنظلة بن أسعد الشامي.

٧. قاسط بن زهير التغلبي وأخيه كردوس بن زهير.

٨. جنادة بن حارث الأنصاري وولده.

٩. جابر بن الحجاج الكوفي.

١٠. ضرغامة بن مالك.

١١. مسعود بن الحجاج التميمي وولده عبد الرحمن.

١٢. النعمان بن عمرو الراسبي وأخيه الحلاس بن عمرو.

مصير المجاهدين

حصيلة مجاهدي الكوفة أنهم كانوا على قسمين:

١. السجناء ومصيرهم، القتل (الشهادة) أو السجن المؤبد.

٢. المختفون، التحقوا بالمعسكر الحسيني عن طريقين، الأول: خرجوا مع جيش الكوفة – جيش ابن زياد – ثم التحقوا بالحسين عليه السلام، والثاني: التحقوا بالمعسكر الحسيني مباشرةً بعد أن وصل الحسين عليه السلام إلى ارض كربلاء.

قيس بن مسهر الصيداوي

كان الرسول المباشر بين الحسين عليه السلام وأهل الكوفة وكان له عدة مهام وأدوار نذكر منها:-

١. حمل مجموعة رسائل من الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام في مكة.

٢. صاحب مسلم بن عقيل عليه السلام طوال رحلته من مكة إلى الكوفة.

٣. رافق عابس بن شبيب الشاكري من الكوفة إلى مكة.

٤. حمل رسالة الإمام الحسين عليه السلام من مكة إلى الكوفة وقد وقع أسيراً بيد الحصين بن نمير قائد طلائع جيش ابن زياد في القادسية[1] فأرسله إلى الكوفة فأمره ابن زياد أن يصعد منبر الكوفة وينال من

(١) – قيل أن حصين بن نمير قتله في القادسية بعد أن أبى إعطاءه رسالة الحسين عليه السلام.

الحســين عليه السلام فصعد المنبر وقال: (أيها الناس إن هذا الحسين بن علي خير خلق الله وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا رسوله إليكم وقــد فارقته بالحاجز[1]، فأجيبوه) ثم لعن ابن زياد وأباه واســتغفر لعلــي بن أبي طالب عليه السلام، فرماه جــلاوزة ابن زياد من أعلى القصر حياً حيث اندقت عظامه وبادر أحد الكوفيين فذبحه.

(١) – اسم منطقة في الطريق من مكة إلى العراق.

الخاتمة

وهكذا كان جهاد سفير الإمام الحسين عليه السلام المولى مسلم بن عقيل جهادا فيه كل معاني الإباء والثبات والصدق والإخلاص فلم ينثنِ عليه السلام بالرغم من تخلي أهل الكوفة عنه، ولكن ثبتت شخصيتان كان لهما الأثر البالغ والكبير في حركة مسلم عليه السلام داخل الكوفة والتوطئة لثورة الحسين عليه السلام هما:

١. هاني بن عروة رضي الله عنه: زعيم بني مراد من بني مذحج، وجه من وجهاء الكوفة وموالي حقيقي لأهل بيت النبوة عليهم السلام، نزل مسلم عليه السلام ضيفاً عليه فأحسن ضيافته وآثر بنفسه دون تسليم مسلم عليه السلام إلى ابن زياد(لع)، وقدم أروع مثل الأمانة والإخلاص والثبات على المبادئ الصحيحة.

٢. طوعة زوجة عبد الله بن أسيد الحضرمي ووالدة بلال وهما من جلاوزة ابن زياد آثرا الدنيا على الآخرة والخزي والعار على الترفع والسمو فطوعة امرأة وقفت إلى جانب الحق، تعدل في وقفتها ألف رجل ساعدت ونصرت بما تقدر عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولله در الشاعر حسين عبد الكريم البنّاء حينما قال:

يا دار طوعةَ في دجى الظلماء ... جبل أتى يمشي على استحياءِ
آويتهِ لما بقى متحيرا ... في دار غربته ودارُ بلاءِ
ويدور أروقة أساس بنائها ... غدرٌ بخير الخلق والصلحاء
نفر دعوه وما رعوه وطالما ... مدوا لداعيهم يد الإيذاءِ

فسطا وحيدا والحسام بكفه ... بين الجموع بغارةٍ شعواءِ
تصغي لصارمه الرقابَ مطيعةً ... سيّان إن يأتي بلا إصغاءِ
ما غادر الهيجاء إلا واقفا ... هذي شمائل فارس الهيجاءِ
لم يُثنه ضرب العواسل مفردا ... حاشاه أن يُثنى من الإعياءِ
وجد المدينة عزة فسعى لها ... سعيا فأوردهم حياض دماءِ
وخطى كما يخطو المروع لمهربٍ ... وأعاد أمجاد الألى النجباءِ
يا أيها المبعوث من رب الحجى ... من طور وادي الطف لا سيناءِ
إن أسقطوا جسم الولاء مضرج ... فالروح قد عرجت إلى العلياءِ
أو زُفّ في الأسواق سحبا إنما ... قد زُفّ في الفردوس للحسناءِ

كان لاستشهاد مسلم عليه السلام أولية في ما حدث له، نذكر منها:

١. هو أول قائد هاشمي يتعرض لخذلان مبايعيه في تلك الحالة الرهيبة، من غير المعصومين عليهم السلام.

٢. أول قائد هاشمي ينفرد بنفسه وفي غربته بصراع مصيري لوحده فقط.

٣. أول من أسر من سيوف الرسالة وفرسان هاشم ليقف أمام السلطة الطاغية كمتهم يخضع للمحاكمة.

٤. أول بني هاشم يقتل علناً أمام الناس.

٥. أول من سحبت جثته في الإسلام وأول من صلبت جثته من بني هاشم.

٦. أول قائد هاشـــمي من الشهداء يقطع رأســـه ويهدى إلى يزيد (لع) وأول رأس حمل من رؤوس بني هاشم.

فصفة الأولية هذه لم تأت عبثاً وليست مفتقرة إلى الدعائم والاعتبارات الجليلة.

لقد حاورنا اليوم ســـفير ومبعوث الحســـين عليه السلام وقد قصرنا في إعطاء الصور الغامضة والحلقات المفقودة في تأريخ البطل الهاشمي إلا أنا وقفنا علـــى بعض الغموض وأفصحنا عنه ولا بد من الإشـــارة أن المصادر التي تخص موضوع مســـلم عليه السلام تتفق جميعها على قصة واحد وســـرد واحد دون التحليل والدراســـة وكذلك شحة المصادر التي تأخذ موضوع مسلم عليه السلام بصورة مستقلة.

نرجو من الله تعالى أن نكون قد لمسنا شيئاً من شخصية مسلم بن عقيل عليه السلام والأحوال التي أحيطت به..

فالســـلام عليك أيها الناصح الأمين ســـفير الإمام الحسين عليه السلام ورحمة الله وبركاته

والحمدلله رب العالمين

المصـــادر

مقتل الإمام الحسين عليه السلام/ تأليف العلامة السيد عبد الرزاق المقرّم/ مطبعة الغدير/ الطبعة الأولى.

جلاء العيون في سـيرة رسول الله وابنته السيدة الزهراء وأئمة أهل البيت عليهم السلام /ج٢/ السيد عبد الله شبر/ دار المرتضى – بيروت.

الرائد السفير مسلم بن عقيل عليه السلام – كامل سليمان الجبوري.

مبعوث الحسـين عليه السلام / محمد علي عابدين/ مركز دراسات نهضة الإمام الحسين عليه السلام.

سـفير الحسـين مسـلم بن عقيل / العلامة المحقق عبد الواحد الشيخ أحمد المظفر.

سيرة الأئمة الاثني عشر / القسم الثاني / هاشم معروف الحسني.

مقدمات / الإمام الشهيد السيد حسن الشيرازي/ دار العلوم.

سيرة الهدى والأئمة الاثني عشر/ الشيخ طه العبيدي.

الأئمة الأنثى عشـر سـيرة وتأريخ/ ج١/ الشيخ محمد حسن آل ياسين/ الغدير للطباعة والنشر.

الفهرس

المقدمة ٣
لماذا الكوفة؟ ٥
الكوفة سياسياً ٧
استقلال الكوفة ٩
شيعة الكوفة ٩
التركيب المعقد لمجتمع الكوفة ١٠
مسلم في سطور ١٤
قرارات مؤتمر الشيعة في بيت الخزاعي ١٥
مسلم عليه السلام إلى الكوفة ١٥
ابن زياد إلى الكوفة ١٧
سياسة ابن زياد ١٩
مسلم عليه السلام في ضيافة هاني ٢٠
الخديعة تقع بهاني رضي الله عنه ٢١
وساطة الباهلي ٢٣
الاحتمالات التي أوجبت تفرق الناس عن مسلم عليه السلام ٢٣
ابن عقيل في ضيافة طوعة ٢٤
طلب المدد ٢٦

شـجاعة مسـلم عليه السلام ٢٧
مسـلم عليه السلام في قصـر الإمـارة ٢٧
بقاء مسـلم عليه السلام في الكوفة دون مغادرتهـا ٢٨
وصيتا مسـلم عليه السلام لم تنفـذ ٢٨
مسـلم عليه السلام وهاني رضي الله عنه إلى الرفيـق الأعلـى ٢٩
نبوءة النبـي الأعظم صلى الله عليه وآله في مسـلم عليه السلام ٣٠
ماذا بعـد قتل مسـلم عليه السلام ٣٠
الكوفيـون المجاهـدون ٣٢
مصيـر المجاهديـن ٣٣
قيس بن مسـهر الصيـداوي ٣٣
الخاتمـة ٣٥
المصـادر ٣٨

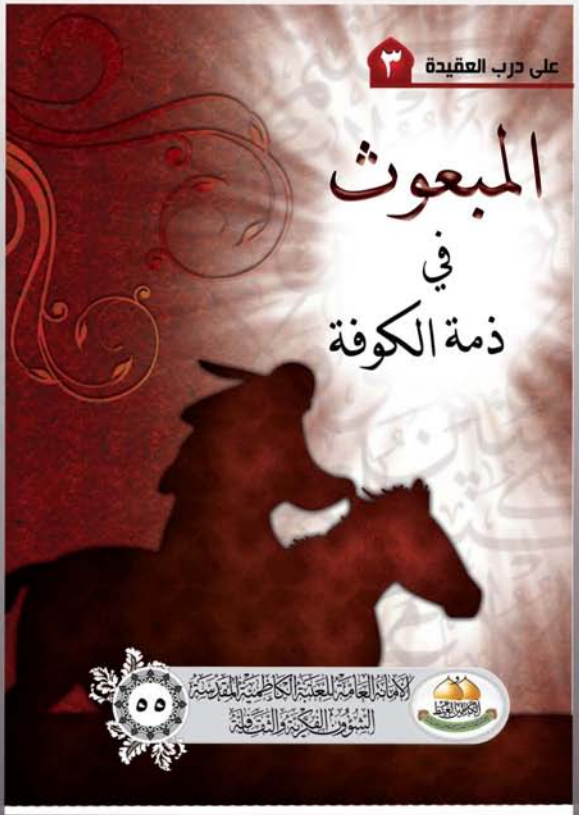

الشؤون الفكرية والثقافية
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
راسلونا fikriya@aljawadain.org
زورونا www.aljawadain.org